الباب الثاني

الواجبات والأعمال

أسباب التكاليف والواجبات

الأديان تُحمّل الأمم نوعين من الواجبات؛ أحدهما يتعلق بالخالق جل جلاله، وثانيهما بالمخلوقات، وخاصة الإنسان. فتوحيد واجب الوجود وتعظيمه، ونفع الإنسان لبني نوعه، وتخلقه بالخلق الحسن ليتم هذا النفع- كلها واجبات أساسية في الدين.

إن عدم حاجة الله سبحانه وتعالي لما نقوم به من التسبيح والتهليل- أظهر من الشمس. وإذ أن القدرة والعظمة الإلهية قد ظهرتا بخلق الكائنات، ثم وُجد على هذه الكرة الصغيرة مخلوق عاقل مدرك لما في الخليقة من العظمة والجلال، فإن إجلال صاحب آثار هذه القدرة والعظمة وصانعها، والتهليل به- واجب طبيعي على العقلاء، فيتبين عقلاً وقياساً أن المراد الإلهي يتجلى في هذه الصورة، وأن بلاغ الأنبياء العظام في هذا الشأن حق وصادق وطبيعي.

وكلمة الشهادة والصومُ والصلاة كلها لتعظيم الخالق المطلق وتمجيده وتوحيده، والشكر لنعمه وآلائه. وهذه العبادات نافعة كذلك للقسم الثاني من الواجبات الدينية، أي القسم المتعلق بأبناء النوع، ولازمة له. فإن البشر المجبول بحسب فطرته على تأمين حياته ومنافعه وملاذه، على حساب

سائر المخلوقات وحياته، يقتضى أن يكون بطبعه غليظ القلب ظلوماً. ومن مقتضيات الطبيعة أيضاً زيادة كل خُلق وسجية قوةً وشدةً بالاعتياد المديد. فلأجل إبقاء نزعاته وميوله في حالة اعتدال، يلزم أن يُلقى في القلب نوع من الرقة والخوف والخشية من عدالة حاكم معنوي. وإني أقول مكرراً: إن الله سبحانه وتعالى لم يكن عاجزاً عن تأمين هذا المقصد بطريقة أخرى، ولكن هذه الطريقة هي أليق بطبيعة سكان هذه الكرة، وأرفق لهم.

فوائد الصلاة والصوم

إن قلباً ودماغاً فارغين من الخواطر الدنيوية، وموجهين إلى الله سبحانه وتعالى بخلوص في أوقات معينة- لَيكونان مظهرين للفيوضات المعنوية، ومطهرين من كثير من دنايا هذه الدنيا. وليس في الإمكان إنكار التأثيرات المعنوية الحسنة لعبادة في وقت الفجر، لإنسان انكشفت فيه قابلية التأثر والانطباع، والأعصاب تخلصت من تعب يوم سابق بعد نوم لذيذ، وفي وقت الظهر والعصر حين ترهق النفس بمكافحات الحياة، وفي وقت المغرب والعشاء وقد استولى الكسل والارتخاء بانتهاء المشاغل اليومية، وفوائد تلك العبادة البالغة كلها في صلاح الجمعية البشرية وسلامتها. وإن الاجتماع مرة كل أسبوع مع الإخوان في الدين، والقيام بالتكبير والاستغفار، والاستماع إلى نصائح دينية ودنيوية يلقيها أحد الأفاضل، لاشك في أنه خدمة لإصلاح الخُلق.

وللصوم- إذا روعيت شروطه- فائدة في تزكية النفس من كل الوجوه، وتهذيب الخُلق. ومن منافعه اختبار المرء بعض آلام فقراء نوعه، والتحقق منها، والتنبه لها، وبلوغه الكمال برياضة نفسه على تحمل المشاق، وتلكم منافع مادية ومعنوية.

ومن الواجبات الدنيوية على كل إنسان، إفادة المجتمع الذي ينتمي إليه بخدماته ومساعيه، ورفعُ شأنه بين سائر الأمم، والسعي لجعله قوياً عزيزاً، وهذا العمل واجب ديني أيضاً. وقد يتخذ بعضهم هذه النقطة وسيلة ليتحدثوا عن زيادة ما يحمل الدين الإسلامي معتقديه من العبادات والتكاليف، ويقول بضرورة تنقيص بعض تكاليف ديننا بما يتفق مع مقتضيات العصر والمدنية، مستدلين على ذلك بأن اليهود والنصارى قد خففوا التكاليف الدينية عن الأفراد، توفيقاً لما يقتضي الحال والزمان وسهلوها.

بيد أن الواجبات الدينية الإسلامية، مع أنها لم تبلغ حداً يمتنع فيه تيسر المصالح الدنيوية، فإن ثمة مسوغاً شرعياً لتخفيف التكاليف في بعض الأحوال كالحرب مثلاً، وإسقاطها في بعض حالات القيام ببعض خدمات خيرية وإنسانية.

بناء على القول الرحيم: «وما جعل عليكم في الدين من جرح»، أظن أنه لا مانع من اتخاذ تدابير عصرية- بفتوى العلماء بالطبع- في أمر العبادات في جوامعنا، توفيقاً لما تحتاج إليه قواعد الصحة. ومع ذلك فإن المسلمين إذا راعوا الطهارة وفقا للسنة السَّنِيَّة، فلن يحتاجوا إلى شيء

آخر. ومهما يكن من شيء فإن ما يسوقه المعترضون من القيل والقال متظاهرين بالحق، لا يحمل قيمة أكثر من عذر تارك الصلاة!

فوائد الحج والزكاة

الحج والزكاة فريضتان دينيتان لمن يستطيعهما وفي الوقت نفسه لازمتان من اللوازم الاجتماعية الدنيوية. ولما كانت جمعية مدنية لا تسير بلا مال فقد كفلت الزكاة حاجات الحكومات الإسلامية الإدارية [كان بين المال في صدر الإسلام عبارة عن الجزية المأخوذة من غير المسلمين والزكاة] والإنفاق على فقراء الأمة. وإذا ألقينا نظرة إلى تاريخ الدولة الأوربية وجدنا أن أصول جباية الضرائب لم يكن لها نظام مقرر حتى ثلاثة قرون خلت أو أربعة. بل كان فيها أنواع من الضرائب والإعانات الجبرية يطرحها الملوك المحتاجون إلى تنازع مستمر مع بعضهم بصفة مؤقتة أولاً ثم يديمونها. فكون المسلمين ملزمين بمثل هذا التكليف الاجتماعي منذ بداية الإسلام- حكمة محضة.

وكم من الفوائد العظيمة للأمم الإسلامية كان يمكن جنيها من اجتماع أغنياء المسلمين وعظمائهم القادمين من البلاد الإسلامية المختلفة إلى مكة المكرمة في أوقات معينة، وتعارفهم وتشاورهم، ولكن يؤسفنا أننا لم نقدر على الاستفادة من ذلك!

حكمة الحج وزيارة النبي

إن الحج المفروض هو القيام بأداء مناسك معينة في الكعبة المكرمة وعرفات، إلا أن زيارة المدينة المنورة والتبرك بزيارة المسجد النبوي والروضة المطهرة- صارت عادة لأكثر حجاج بيت الله. فلذا أرى أن البحث قليلاً في عقيدة الوهابيين الخاصة في هذا الشأن لا يخلو من فائدة. فزيارة القبور عند أتباع هذا المذهب- أو بعبارة أصح عند الغُلاة منهم- معناها الاستمداد من الأموات؛ وهذا شِرك. وبناءً على ذلك فكل أتباع الفرق والمذاهب الإسلامية الأخرى التي تبيح هذه الزيارة كفار. ونطق المرء بكلمتي الشهادة يعني تعهده باللسان والجنان بألا يشرك بالله، فلو فرضنا رجلاً كالذي ذكرناه زار- ولو على اجتهاد خاطئ- قبر ميت تعظيماً له، فهل تثير هذه الزيارة غيرة البارئ تعالى- الذي حاولنا جهد طاقتنا إثبات عظمته وجلاله مستدلين بآثاره- من بعض عباده الميتين، حتى يطرد عبده هذا المخلص المسكين من دينه الذي آمن به مقراً باللسان ومصدقاً بالجنان؟ أظن أن الذين يزعمون مثل هذا الزعم يشبهون أرحم الراحمين بأناس من درجة أفكارهم وطينتهم، فيرتكبون شركاً أبشع! إني مطمئن يقيناً بأن الله سبحانه وتعالى ينظر إلى قلوب الناس. والآيات الكريمة كقوله تعالى: «أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين» و«والله عليم بذات الصدور»، والأحاديث الشريفة كقوله صلى الله عليه وسلم: «إنما الأعمال بالنيات» و «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» وغيرها- مؤيدة لهذه الحقيقة.

إن إجلال واضعي الأديان وخادميها، وحتى القائمين بأعمال مفيدة لشعوبهم وأوطانهم في غابر الأزمان، وزيارة قبورهم- عادة مستحسنة ومقبولة عند الناس من قديم الأزمان. فلا يلزم أن تكون كل حال غير مأمور بها ممنوعة، وكل ممنوع كفراً. فإن عدم نسيان أبرار الأمة بعد موتهم حافز للناس إلى القيام بمحاسن الأعمال. والله القادر المطلق لا يستكثر على عبادة المصطفين ما يعمل لهم من التكريم، وتصور عكسه إسناد أوصاف إلى الله سبحانه مكروهة فينا- حاشا لله!

وحتى لو فرض أن تعظيم تراب ميت محرومٍ من كل قوى مادية إثمٌ، فإن هذا الإثم زلة جد خفيفة، بالقياس إلى التعظيم المنطوي على الرياء والنفاق والتملق في زيارة الأمراء والوزراء وندمائهم والمقربين منهم، أو على وجه عام في زيارة من يقدر على إيقاع النفع والضر في هذه الدنيا. ويجوز لبعضهم أن يعد الاستعانة بالقبور تعباً بلا فائدة، وإسرافاً في الأنفاس المعدودة إلى حد ما. بيد أن عد مثل هذا الاستمداد البريء جُرماً وشركاً- تكفيرٌ للمؤمنين. وإذا اقترن بتعمد، وقُصِد بدافع آمال دنيوية- كالحرص على الرياسة وغيرها- صار كفراً محضاً. إن تكفير أهل القبلة والقيام لقتالهم، ولو كان مبنياً على اجتهاد مخلص- ولكن خاطئ- وتشتيت الجامعة الإسلامية بهذه الطريقة، وتعريضها للهوان، لمن أكبر المعاصي والآثام.

ويظهر من مطالعة كتابي هذا، أني أنا أيضاً أرى رفع البدع والضلالات التي سرت في الجامعة الإسلامية بمرور الزمان، وإرجاع معتقداتنا إلى

صفائها وبساطتها الأصلية، التي كانت في القرن الأول. فأنا متفق مع الوهابيين اتفاقاً تاماً في القضاء على بعض ما يدل على الضلال والحمق، مما نشاهد في كثير من البلاد الإسلامية، من الحفاوة بأشجار وأحجار وقبور ومزارات لا أصل لها، والاستمداد منها. ولكن على شرط الاعتدال في الإجراء والتنفيذ، وعدم البغض والعداوة للمخطئين، ومحاولة إنقاذهم مما اتخذوه بإحساس مفعم بالشفقة والرحمة، وجعل الإرهاب آخر ما يُلجأ إليه من الوسائل، وخاصة اجتناب المعاملات الشديدة المؤدية إلى التفرقة بين المسلمين، وعدم الإهمال في تعظيم أولئك الذين يُقر المسلمون بعظمتهم واحترام أضرحتهم ومزاراتهم.

عناية الدين الإسلامي بتربية الأخلاق:

إن الدين المبين المحمدي يبلِّغ- عدا المواد الخاصة بالعبادات والطاعات- أوامر ونواهي فردية واجتماعية، متعلقة بالعلاقات والمعاملات الجارية بين بعض بني البشر وبعض، ويُحمِّل من اعتقده واجبات أخلاقية. فهو آمر بالتخلق بمحاسن الأخلاق بحكم قوله صلى الله عليه وسلم: «إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».

وقد أمر كل مسلم ومسلمة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية بالعفة، والحياء، والأمانة، والصدق، والاستقامة، والكرم، والسخاء، والصبر، والشجاعة، والتقوى، والقناعة، والاجتهاد في العلم والعمل بكل معانيه، والطهارة، والنظافة، والعدل، والإحسان، والمروءة، والعفو، والرحمة.

وحرم مع أضداد الفضائل المذكورة الفحش على الإطلاق، والبغي، والخمرَ في صورة خاصة، والميتة، ولحم الخنزير، والميسر. أليس إدراك أرقى الأمم حضارة بعد ثلاثة عشر قرناً ما في السكر والمسكر من الأضرار، وشعورها بضرورة منعها، واكتشاف ما في لحم الخنزير من الجراثيم السامة المسماة بـ «تريشين»- دليلا على قداسة الأوامر الدينية؟! ولا أرى حاجة لإيراد أدلة على مضرة القمار. فإن حال كثير من ورثة الأغنياء ناطقة بها مصدقة. وأما حكمة وجوه هذه السيئة فلعلها سلاح انتقام العدالة المعنوية من أرباب الرُّشا وورثتهم في هذه الدنيا!

ويأمر الدين المحمدي- زيادة على ما ذكرنا- بالأدب والرقة والتودد في معاملات المسلمين بعضهم بعضاً، والتوسط في حل الاختلافات بين الأفراد والجماعات، والطاعة لأولي الأمر- ما دام الأمر مطابقاً للمعروف والشرع- وتعظيم أكابر الأمة، وأولياء أمور الأسرة، وينهي عن سوء الظن والغيبة، والتجسس والنفاق.

وإذ أن الإسلام أسس أسساً شرعية ومدنية، فقد وضع عقاباً، وحدد حدوداً دنيوية متكفلة بتنفيذ ما تقتضيه جمعية بشرية من الأحكام الأساسية والأوامر والنواهي، وأرشد الناس إلى الغاية المطلوبة؛ وهي المساواة في الجماعة، والعدالة في الحكومة، وثبّت ذلك.

وقد دون علماء المسلمين وفقهاؤهم أحكاماً وقوانين، ولتكون دستوراً للعمل في حل المسائل الحقوقية والجزائية والاجتماعية، مقتبسين من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، وباجتهادهم الشخصي.

ومع ذلك فثمة مُسوغ شرعي لتغيير بعض الأحكام الشرعية بما يتفق مع الزمن، على أن تبقى الأسس كما هي [٥٣].

أكتفي بهذا القدر من البحث والتحقيق في العقائد والأعمال الإسلامية. وكان في الإمكان إيراد أدلة وإيضاحات كثيرة من الأدلة الفلسفية والكلامية، والعقلية والنقلية في هذا المبحث. وقد أراق علماء السلف سُيولاً من المداد في هذا الوادي. بيد أن قلة بضاعتي تمنعني من الإكثار، وقد التزمت إتباع هذه الحكمة: «في الإكثار عثار»، لأني لم أقدر على أن أخلىَ ذهني من الذهاب إلى أن التعصب لمحاولة تنفيذ الفكر، بقياسات وأدلة منطقية فيما وراء حدود ما يتعلق به علم البشرية، وقدرتها في سر الخليقة- كان سبباً لما نشاهده من اختلاف المذهب ونفاقه.

إني أرجو ألا يُستنتج من إفادتي هذه معنى نقد العلماء السابقين ومعارضتهم، فقد كانت المحاولات الكلامية ستقع، بل كان يجب وقوعها. ولكن كما أن لكل عسر يسراً، فإن لكل فائدة محذوراً. فما أصدق قول الإمام الرازي في حكمته إذ يقول:

نهاية إقدام العقول عِقال وأكثر سعي العالمين ضلال

فلمثل هذه الملاحظات أختار السكوت عن الخوض في الكلام عن المسائل التي سوف تظهر وتتشعب. والتي ذكرتها هي المبادئ والأحكام الأساسية للإسلام. وأما الروايات المنقولة إلى الكتب من أساطير الأولين بلا تحقيق، والمبادئ والمعتقدات الناشئة عن منازعات الفرق

ومجادلاتها- فليست لها صلة بالواجبات البشرية، من التصديق بالله وتكبيره، وتكفل سعادة البشرية، وكلها حكمة وضع الدين وتنزيله. وبالعكس من ذلك يجب البحث عن الزوائد والأباطيل التي ظهرت فيما بعد، وجرحها بالأدلة القاطعة: نقلية وعقلية، واقتلاع الروايات المشوشة لأذهان شباننا من جذورها، ومنعها عن الذيوع والانتشار. ولكن أمراً عظيماً كهذا يفوق طاقة عاجز مثلي.

obeikandl.com

فصل خاص

مقارنة بين الإسلام وسائر الأديان

يتبين مما سبق من البيانات والآراء التي أوردناها عند أرباب العقل والإنصاف- وجوب وجود مسبب أول، ذي قدرة لا نهاية لها وحكمة، وحافظ أزلي لتكوُّن هذه العوالم ودوامها وتطورها. أقول: (عند أرباب الإنصاف) لأن بعض المنكرين المتكبرين يغمضون عيونهم عن نور الحق معاندين، ويغلقون أذهانهم دون كل منطق وحساب، ويصرون على آراء سخيفة، قد استقرت في أدمغتهم بما لا ندري من الأسباب، وخاصة إذا كانت تلك الآراء متفقة مع المستحدث من الآراء- فليس ما يُقال لأمثال أولئك الظالمين. أما في نظر المؤمنين بالله فليس في وجود كثير من القوى والوسائط اللطيفة، للمؤثر في جميع المخلوقات، للمحافظة على نظام العالم، والقوى المشخصة، وفي جملتها رجال مختارون رسلاً من عند الله، لإرشاد العباد إلى الطريق المستقيم وهدايتهم- ما يتعارض مع العقل والعلم والفن.

بيد أن موضوع الدين يمس كثيراً من الأمور ذات العلاقة بالخالق، وسر الخلقة، وكيفية الحياة، والحياة الآخرة، وكلها أمور متعذر إدراكها بأسلوب العقل البشري، ويتعسر التعبير عنها وفهمها بلسان الدنيا؛ فلذا يمكن حدوث اختلافات فرعية في أمور الدين، أو بعبارة أصح في تلقينها- بالرغم من الوحدة في الأصل- واشتداد تلك الاختلافات بمرور

الزمن وطول الأمد. ومن هنا ينشأ تعدد المذاهب في الدنيا. وقد بينا في الفصول السابقة لمناسبات، أن التضاد والاختلاف من مقتضيات الحياة الدنيا الطبيعية. فعلى ذلك لا محل للحنق والشدة إزاء أرباب المذاهب التي لا تذهب إلى الشرك بالله وإنكاره، أي إزاء أهل الكتاب. وقد ثبت هذا الأمر كذلك بالآيات القرآنية، والأحاديث النبوية. ويخيل إليّ أن اختلافاتنا المتولدة من نظرنا وفكرنا تجد فرصة للائتلاف في عالم الإطلاق والسرمدية، في تلك الدار الفسيحة، التي لا تحدها نهاية. ولكن نظراً إلى الفهم في هذه الدنيا أيضاً تظهر في كل حال، وفي كل محل وجد فيه التعدد والتنوع- قضية الرجحان بطبيعتها.

رجحان الإسلام على سائر الأديان:

إذا بُحث وحُقق بلا تحيز، ثبت رُجحان الدين الإسلامي على سائر المذاهب بوجوه كثيرة:

فأولاً: إن المعبود الذي يصدقه ويبجله هو السبب الأول الحكيم. يؤمن المسلمون بوجود الخالق ووحدانيته، ويقرون له بالصفات الأزلية التي لابد منها عقلاً للمسبب الأول. بيد أنهم ينزهون سر ذاته عن إحاطة العقول به، ويرونه أعلى من ذلك. ودعك عن دعوى الوصول إلى قدس أسراره، فإنهم يرون مجرد البحث عنه شركاً، قال بعض الصديقين:

العجز عن دَرَك الإدراك إدراك والبحث عن سر ذات الله إشراك

وهذه العقيدة هي عقيدة أكثر العلماء المنصفين، على حين أن هذه المسألة مهوَّشة مضطربة في التعاليم المتداولة اليوم لسائر الأديان؛ أي أنهم يخلطون في ذات الله سبحانه وصفاته بعض عقائد متعارضة مع العقل والعلم. فيدعون مثلاً النفوذ إلى قدس أسراره، والوقوف على أحوال أسرته- حاشا لله [٥٤]! وهناك خلاصة ما يورده أصحاب المذاهب من الأدلة لإثبات هذه المعتقدات، وهي: «متى صُدِّق بالله، فلا يستبعد أن يرشد عباده بالوحي والإلهام، وأن يعرفهم بعض المغيبات. وقد ثبت تاريخياً أن الأنبياء وعيسى عليهم السلام قد بعثوا، وقاموا بالرسالة من قبل الرحمن. والتاريخ صحيح لأنه من العلوم التجريبية. فيقتضي الثقة بهم»[٥٥]. وإن كانت عقولنا تقصر عن إدراك بعض المعتقدات، فإن مسائل الألوهية في حد ذاتها أعلى من إدراك عقولنا القاصرة.

والحق أن الإسلام أيضا يُقر بالوحي والإلهام[*]. ولم يكن ممكناً أن تُلقَّن الأجيال البشرية البدائية الحقائق الدينية بالأدلة المنطقية والرياضية. ولكن يُشترط أن تكون العقائد- التي يقال عنها إنها أثر إلهام- فطرية معقولة، حتى تكون مقبولة. وإذا اعتدت على دعاوى الوحي والإلهام تسليماً، فالمسألة تنتهي إلى الطاغوت والأصنام؛ لأن الذين لقنوا أمثال تلك الظنون الباطلة وأشاعوها- هم أيضاً لم يكونوا يسلكون مسلك إثبات دعاويهم بالأدلة، ولم يكن ذلك في طاقتهم، وإنما قالوا إنهم أُلهموها.

فلننظر الآن عقائد الإسلام، وهو دين فِطري استدلالي:

---

* الأب مورو كتاب حدود الدين والعلم (ج ١ س ١٠ - ١٧) وأواخر الجزء الثاني.

١- الإيمان بالله: إن الناس يبحثون بفطرتهم عن مسبب الأسباب للكائنات، ويُجلون المعالي. فالإيمان بالخالق وعبادة الله وهي أعلى المعالي، لا يمكن أن يكون أمراً مخالفاً للعقل والحكمة.

٢- الإيمان بالملائكة: إن امرأً حساساً يشعر في روحه بوجود قوي خفية حوله، فيبحث عقلاً عن أسباب خفية لطيفة لكثير مما لا يقدر على تعليله وتأويله من الأحوال، فلذا لا يحس صعوبة في الاعتقاد بالملائكة.

٣- الإيمان باليوم الآخر: كل من له وجدان، ومن هو واثق بحقه، ومحب للعدل، يتمنى- متأثرا بما ابتلي به هو ومن حوله من المظالم- عدالة أخروية، وجزاءً وعقاباً؛ فيؤمن بالآخرة.

٤- الإيمان بالقدر: لا تجد رجلاً عاقلاً متأملاً محققا في حياته وحياة من حوله لا يعتقد بوجود تصرف خفي، مساعد أو معاكس، لاختياره وتدبيره في شئون حياته. وهذه العقيدة مفيدة للبشرية، ونافعة بقدر ما هي فطرية.

يقر الأب مورو وكل الآباء النصارى كذلك، بلزوم عقائد دينية معقولة فطرية، ويحاولون إثبات أن عقائدهم كذلك، ولكن لا أدري كيف يرون ادعاء النفوذ إلى أسرار الله وحياته الخاصة معقولاً وفطرياً؟! مع أنهم يعتقدون بأن الله فوق الإدراك! كيف يقدر البشر على دخول قدس خالق الكائنات، وهم عاجزون عن الاطلاع على شئون جيرانهم البيتية؟ وما الفائدة والحكمة المنتظرة من مثل هذه العقيدة؟ الإسلام يعظم عيسى عليه

السلام، بيد أنه يقول أيضاً إن عيسى كان يلعن عقيدة التثليث. ومجمل القول أن الدين الحق عقلاً وعلماً هو دين التوحيد [٥٦].

وثانياً: عقيدة الإسلام في خلقة آدم وهبوطه عارية عن مبالغات أساطير الأديان الأخرى. قُص في القرآن بعض قصص العهد القديم حول هذه المسألة، ولكن ليس بها عجب كتغيير الزلة المعلومة لما في الخلقة من العزم الإلهي- حاشا لله. وإن الإرادة الإلهية بالنظر إلى العقيدة الإسلامية ثابتة لا تتغير، فالأحداث الكونية كلها معلقة بما في يد المشيئة الإلهية من التقدير الأزلي. والعلم الإلهي شامل كافة الشئون الدهرية. والإسلام لا يقر كذلك بنزول الغضب الإلهي على ذرية آدم من أجل تلك الزلة؛ أي نظرية الخطأ الأصلي، التي تقول بها النصرانية.

إن هبوط آدم وحواء من الجنة إلى الأرض من معتقداتنا الدينية. بيد أن العلم كذلك يقر بورود الحياة في حالة بروتوپلاسم إلى الأرض من سائر الكواكب؛ فمع أنه ليس في قيام آدم وحواء برحلتهما الجوية ببدنهما الإنساني ما يُعد خارجاً عن القدرة الإلهية، لم يذكر القرآن الكريم هذا الحادث بآية صريحة. وبناءً على ذلك ليس ثمة استحالة علمية في أن يخلقا في عالم آخر، أي في الجنة، في صورة البشر، ثم يهبطا إلى الأرض نطفة تندمج فيها سيرة البشر وصورته، وأن يتلاقيا ويتشكلا، وأن تدوم ذريتهما بعد ذلك. لقد ذكرت سابقاً نظريات «سوينت آرينيوس» في كيفية ورود الحياة إلى الأرض من سائر العوالم. ومن جهة أخرى لو أمكن الانتفاع بالقوة الخارقة التي بين الذرات، فإن رحلة الإنسان إلى السموات

من الممكنات العلمية. فكيف يسوغ لامرئ مقر بهذه الفرضيات والاحتمالات، ومؤمن بوجود مسبب أول نادر خالق أزلي لهذه العوالم- أن يدعي أن نزول آدم وحواء من عالم آخر إلى الأرض في صورة نطفة، أو حتى هبوطهما ببدنيتهما الماديين يفوق قدرة خالق الكائنات؟

وإفادتي السابقة جواب على أولئك المتفننين المدعين المعجبين بأنفسهم، الذين يستهزئون بالنقول الدينية الواردة عن هبوط آدم وحواء ويستبعدونه. وإلا فهي لا تتضمن الادعاء بأن الهبوط قد حدث كما ذُكر تماماً؛ إذ لا يلزم أن يكون ظهور بداية الحياة في الكواكب مطابقاً لأسلوب التناسل المعروف اليوم وقاعدته. فالابتداء لابد له من تجلي قدرة المسبب الأول اللدنية. وليست ثمة ضرورة أيضاً للإقرار بنشأة الحيوان كله من بروتوپلاسم واحد، كما يقول به بعض الحكماء، لقبولهم ورود ذوي الأرواح إلى الأرض في حالة بروتوپلاسم (Protoplasma). وبناءً على ذلك فليس هناك ما يتعارض مع العلم في الإقرار بظهور الإنسان في أسلوب آخر، وصورة أخرى. ومن رأيي الخاص أن البشرية المتفكرة مولود رابع في الطبيعة، فوق المواليد الثلاثة. لأني أرى أن بين الإنسان والحيوان فرقاً وتفاوتاً بقدر ما بين النبات والحيوان على الأقل.

يقول بعض المفسرين: إن الجنة التي خلق فيها آدم عليه السلام، كانت في الأرض. ويستنتج من هذا حرمان آدم وحواء بزلتهما المعروفة من نعيم كرتهما. وليس في هذا التصور ما ينافي العقل والعلم. تصوَّر بيانات الكتب المقدسة عن خلقة آدم، الخسران الذي أصاب الشيطان وأتباعه من

داء العظمة والحسد، والنكبة والحرمان اللذين يصيبان من ينقاد لوساوس الشيطان فيخون الأمانة، وتحتوي على أنموذج لعبرة في حياة البشر المستقبلة. ولو اعتبرنا شروع البشرية في مجادلة الحياة، بعد أن أدبت تأديباً شديداً فعلياً، ويمكن انتقالها إلى نسله عن طريق الوراثة- أثراً من آثار الخلقة الحكيمة، فلا يعد هذا الاعتبار مخالفاً للمنطق. لقد ورد في القرآن الكريم: «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم فسجدوا إلا إبليس أبى واستكبر». يتلقى المنكرون هذه الآية بالاستهزاء. ولكن إذا فكرنا قليلاً، فإنا نرى أن بني آدم استفادوا منذ عهد بعيد- عالمين أو جاهلين- من قوى الجاذبية والحرارة والضوء والكهربا والمغناطيس، وغيرها من السيالات اللطيفة، والرياح والمياه، وسخروها في الأزمان الأخيرة بتطور العلوم ورقيها، واستعملوا المواليد الثلاثة كما يشاءون. فبينما جميع القوى اللطيفة، والموجودات الأرضية المعلومة وغير المعلومة خاضعة للإنسان، وساجدة له، توجد قوى إغوائية معادية له عاصية، تسمى الشيطان وإبليس في اللغة العربية، وتسمى في سائر الألسن بما يقرب من هذا. فهذه القوى تعصيه وتعاديه. أظن أن توجيهاً كهذا لا يعد عبثاً عند العقلاء في مسألة سجود الملائكة لآدم. ولكن يجب أن نفكر منصفين أيضاً: هل كان الناس في بداية نزول الأديان؛ أي في عصور كان العلم البشري جد محدود- قادرين على إدراك ما سردته من البيانات آنفاً؟! وإذا كانت الكتب الدينية أفهمت الناس رمزاً وإشارة بأن هناك قوى خفية معادية له في الدنيا، فبأي حق يُعترض عليها؟!

وثالثاً: الإسلام دين فطري؛ أي أنه مُعَقِّب للشرائع والعقائد الحقة، التي فُطر البشر عليها، وأُمِر بها منذ ظهوره. قال تعالى: «والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك» سورة البقرة. وقال: «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً» سورة الشورى.

وهذا الدين المبين يدل على الصراط المستقيم، الذي يُوصل البشرية كلها دون استثناء الأشخاص والأقوام- إلى السلامة في الدارين. فهو ليس بخاص بشعب واحد، كما يدعى اليهود الآن، ويصدق الأنبياء جميعاً بدون تفريق: «لا نفرق بين أحد من رسله» سورة البقرة[٥٧].

ورابعاً: الإسلام لا يُوئِس الناس من الحياة الآخرة. إنه وإن كان يعلم عقيدة البعث بعد الموت، وخلود الروح، إلا أنه لا يزودنا بمعلومات كثيرة عن الروح، وعن حياتها التي قبل الحياة الدنيا والتي بعدها، ويكتفي بأن يقول: إنها من أمر الله. وينذر الناس بالعقاب في اليوم الآخر، بيد أنه لا يبعث فيهم اليأس. لقد ورد في الأحاديث القدسية: «سبقت رحمتي غضبي» وفي الآية الكريمة: «ورحمتي وسعت كل شيء».

فهو يجعل النعيم خالداً للأخيار، ويجعل النار مؤقتة لعصاة المؤمنين. وليس للمسلمين رهبان يطهرونهم من آثامهم. فالله نظراً إلى تعاليم القرآن هو الرحمن الرحيم، والغفار الكريم. يغفر بلا واسطة للمذنبين النادمين المستغفرين. والواقع أن الناس سيلاقون جزاء أعمالهم خيراً أو شراً، ولو كانت أعمالهم مقدار ذرة. بيد أن حسنة تمحو عشر سيئات عند المحاسبة على الأعمال.

وخامساً: لا ينذر الإسلام معتنقي سائر الأديان إطلاقاً بجهنم خالدين. وقد قال تعالى: «إن الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحاً فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون» سورة البقرة الآية ٦٢. وقال: «ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون * يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات وأولئك من الصالحين * وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين» آل عمران، الآيات ١١٣، ١١٤، ١١٥. نظراً إلى هذه الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة الآتية: «من قال لا إله إلا الله مخلصاً دخل الجنة»، و«من شهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة»، و«من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة»- فليس بعيداً احتمال عفوه سبحانه وتعالى عمن عملوا الصالحات غير منكرين وغير مشركين بالله شيئاً عما ارتكبوه من الذنوب، وإدخالهم في جناته. الشرك والإنكار يستلزمان العقوبة الخالدة. ولكن لم يرفع احتمال تخليص المشركين والمنكرين من أرباب الأعمال الصالحة أنفسهم من العذاب الأليم، باهتدائهم بتصديق الوحدانية الإلهية في النفس الأخير [٥٨].

إن القيام بأعمال صالحة في الدنيا يؤدي إلى ملاقاة الخير في الآخرة، بمقتضى قوله صلى الله عليه وسلم: «من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة»، وقوله: «ما حسن الله خلق عبد وخلقه، فيطعمه النار»، وقوله: «الدنيا مزرعة الآخرة». [شوهد كثير من ذوي أخلاق مستقيمة،

وأفعال محمودة، عاشوا منكرين، حتى إذا جاء نفسهم الأخير صدَّقوا ما في ضمائرهم].

أما الصبيان فمصونون من العذاب مصداقاً لقوله صلى الله عليه وسلم: «ما من مولود إلا يولد على فطرة الإسلام».

في نظير هذا التسامح الإسلامي، لا يرى اليهود أحداً غير يهودي خليقاً بالقرب الإلهي. أما النصرانية، فإن فيها من يعتقد بأن أطفال النصارى الذين يلقون حتفهم بعد ولادتهم بيومين أو ثلاثة أيام- دون التعميد النصراني- لا ينجون من العذاب الخالد، طبقاً لنظرية «الخطأ الأصلي»، بَلْهَ أمثال قونفوشيوس ومحيي الدين ابن عربي وسعدي الشيرازي وابن سينا.

ولنتعمق قليلاً في هذه النقطة من المسألة:

يعيش في الدنيا اثنا عشر مليون يهودي، وخمسمائة وخمسون مليوناً من النصارى بحسب الإحصائيات. ولما كان النصارى أيضاً منقسمين مذاهب مختلفة، يكفر بعضها بعضا، فإن أكثر مذاهبها أتباعاً لا يزيد على مائتي مليون نفس على أكثر تقدير. فلو أُقرّ بصحة مذهب هذه الأكثرية النسبية، وعُد نظراً إلى أحوال الناس نصف هذه النفوس على الأقل- على حساب منصف- من أصحاب الكبائر، لوجب ابتلاء أربعة عشر من خمسة عشر من مجموع سكان الكرة الأرضية المقدر عددهم بأكثر من ١٥٠٠ مليون نفس- بعذاب خالد. وخاصة من جاء منهم إلى الدنيا قبل ألف

وتسعمائة عام، فإنهم جهنميون بلا استثناء، من جراء سرقة جدنا الأعلى للتفاح! فينتج إذن أن الرحمن الرحيم والخلاق الكريم، إنما خلق الناس لحكمة تموين النار بالوقود، حاشا وكلا!

يعترض معظم الحكماء- وفيهم حكماء إلهيون أمثال جوته وفلاماريون- على الأديان من هذه النقطة، ولكن لو حقق لعلم أن الإسلام قد سد باب مثل هذا الاعتراض بأحكامه وقوانينه السمحة العادلة الواسعة، وبنُقط نظره البعيدة الغَور. وكما أن حكمة الخلقة تحفظ الكائنات من كل أنواع الصدمات والمهالك، فإن الحكم القرآنية كذلك تحفظ الحقيقة الدينية من شوائب الاعتراض.

ومع أن الأمر كذلك، يعتقد غير المسلمين أن الإسلام يلقن أتباعه بغض سائر الأديان. ومن العجب أن حكيماً محققاً مثل كميل فلاماريون أيضاً تحدث في مقدمة كتابه «المجهول» عن هذا الرأي بلسان ساخر. وليس في الدنيا دين فيه سماحة نحو سائر الأديان بقدر ما في الإسلام، فالإكراه ممنوع في تلقين الإسلام ونشره. وهذه القضية ثابتة بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية، كقوله تعالى: «ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن». وقوله «وما أنتم عليهم بجبار، فذكر بالقرآن من يخاف وعيد». وكقوله صلى الله عليه وسلم: «اتقوا دعوة المظلوم- وإن كان كافرا- فإنه ليس دونها حجاب»، فكلها براهين ناطقة بصحة دعوانا. فتحت مكة بانتصار المسلمين على قريش، وسمح لمن يرغب منهم في البقاء بمكة على وثنيته، بل سمح لبعضهم

بالاشتراك في حرب حنين مع جيش الرسول، وأغمض العين عن بقاء اليهود بالمدينة وهم يعيثون فيها فساداً. فهل يتصور تسامح أكرم من هذا؟

ظلت بين المسلمين وبين النصارى مخاصمات شديدة قروناً عديدة، بيد أن بادئها الأول كان دعايات الصليبيين. شرع فيها «بيڑلرميت»، ثم زاد هذا الرأي قوة بتظلم وشكايات وصراخ من الشعوب النصرانية، التي أدخلها ملوك المسلمين- ولاسيما العثمانيين- في حكمهم بالحرب. ومن الجائز أن يكون قد نجم بعض مساوئ مما وصفت بدأها من العداوة، ولكن الشر بالشر والبادي أظلم. وقد يجوز سرد بعض وقائع تاريخية مثالاً لما وقع على الرعايا من ظلم بعض الأفراد واعتسافهم. بيد أنها مساوئ وفظائع شخصية لا علاقة لها بالدين. في حين أن مظالم محاكم التفتيش قد ارتكبت باسم الدين، وبتحريض من الرهبان ومعرفتهم وحمايتهم. لقد ذكرت في ذيل هذه الصحيفة صورة عهدين؛ أحدهما من الرسول صلى الله عليه وسلم لرهبان ونصارى سيناء، والآخر من أبي بكر الصديق للمجاهدين المرسلين إلى الشام، دليلاً على ما عامل به الإسلام سائر الأديان من التسامح الكريم [٥٩].

وسادساً: أبطل الإسلام الفروق والامتيازات بين الشعوب والطبقات، ودعا إلى الأخوة والمساواة بين جميع المسلمين، بل بين الناس كافة. لقد ورد في الآية الكريمة: «إنما المؤمنون إخوة»، وفي الأحاديث الشريفة: «الخلق كلهم عيال الله، فأحبهم إلى الله أنفعهم لعياله»، و «كونوا عباد الله إخواناً».

ونظام الطوائف (Caste) أي تقسيم الناس إلى طبقات وأصناف، وتمييز بعضهم عن بعض قِوام ديانة «براهما»، التي هي أساس العقائد الشرقية. والموسوية تجعل بني إسرائيل شعب الله المختار، والنصرانية لا تحتوي على نظرية التفريق بين الطبقات، ولكن لو ألقيت نظرة إلى اختلاف الطبقات والتعصب الذي كان بين الشعوب النصرانية أيام أن ساد التعصب الديني بلاد أوربا في القرون الوسطى، وغرور القومية الخاصة والطبقات السائد اليوم في أمريكا وأوروبا- لحكم بأن التعاليم الإنجيلية الحالية لا تتقيد بالوقوف أمام هذه الفروق والاختلافات.

وسابعاً: الإسلام يحفز الناس للتمدن والرقي والتطور. وقد وردت آيات وأحاديث كثيرة مؤيدة لهذه الدعوى، وتبركت بذكر بعضها في الفصول السابقة والحديث الشريف: «من استوى يوماه فهو مغبون»، يدلنا على ما أبدله الرسول صلى الله عليه وسلم من الاهتمام بالرقي والتطور مادياً ومعنوياً. وهذه الحقيقة مؤيدة بالوقائع والآثار؛ فإن انتشار ديننا بسرعة البرق في صدر الإسلام واستقراره في معظم أقسام العالم المتمدين، لا يُحمل على شيء سوى أنه دين فطري، وأن أحكامه حافلة بالحكمة والعدل والحرية والمساواة. لأن القسم الجنوبي من بلاد العرب المتمدن نسبياً (اليمن) كان قبل الإسلام تابعاً للأحباش حيناً، وللإيرانيين حيناً آخر، والقسم الشمالي كان متقلباً بين النصارى والزردشتيين؛ أي كان أيضاً في حماية روما وإيران. وأما القسم المركزي وهو مهد ظهور الإسلام، فكان سكانه من الوثنيين عامة. وهم أهل بعض المدن المعتادون

الاشتغال بالتجارة، وقبائل من البدو الرحل الذين لا يفترقون كثيراً عن بدو اليوم، ضعاف قد وقعوا في تأثير التغلب الفكري والاقتصادي لليهود الذين حلوا فيهم. فنهضة قبائل مشتتة كهذه مرة واحدة، وظفرها بالفتوح بقوة السلاح وحدها- ليس في الإمكان مادة. وإذا كان الأمر كذلك، فلابد من الحكم بوجود قوة جامعة وتمدينية في روح الإسلام، تدفعهم إلى نهضة سريعة، واتحاد قوي.

إن ما أظهره الإسلام من الرقي والتقدم في كل أنواع العلوم والفنون والصناعات في القرون الأولى من الهجرة، لخليق بالدهَش. فقد كانت تيارات الفلسفة والعلوم الحكمية والرياضية التي أوجدها المصريون واليونان والرومان في أزمان طويلة- قد توقفت بل نُسيت من جراء الاضطرابات والانقلابات السياسية في الدولة الرومانية، وما حدث من المناظرات والمنازعات بين النصارى، وسائر الشئون التاريخية، ففتح الإسلام هذه التيارات بقوة مرة أخرى، وأضاف إليها مخترعات فكرية وحكمية جديدة.

ودخول أنوار العلوم والمعارف بلاد أوروبا عن طريق الأندلس والحروب الصليبية وانتشارها فيها- حقيقةٌ ليس في وسع ألد أعداء الإسلام تعصباً إنكاره. لقد ورد في مبحث الإسلام في معجم لاروس الجامع: «كان من المسلمين متصوفون ولغويون ومؤرخون وجغرافيون ورحالون وفلكيون وصناع؛ بيد أنهم لم ينجبوا علماء خليقين بالذكر في الحكمة والكيمياء والعلوم الرياضية». ولعلماء المسلمين اكتشافات في

الكيمياء، كما أن الجبر إن لم يكن من مخترعاتهم، فإن الذين كملوه وأدخلوه أوربا هم المسلمون. واسمه المستعمل في اللغات الأوربية (Algebre) دليل ناطق على مجيء الأصل من المسلمين. وذكر أسماء ابن سينا والفارابي وابن خلدون دليل كاف على نصيب المسلمين في كافة شعب العلوم. نشر عمانوئل دويسن من علماء اليهود مقالاً في «كوارترلي ريفيو» الإنجليزية، قال فيه: «دخل الفينيقيون أوربا تجاراً، واليهود قوميين، ودخلها المسلمون حُكاماً، وحملوا بفضل القرآن قبس العرفان إلى أوربا. والحق أن المسلمين علموا الشرقيين والغربيين الفلسفة والطب والفلك والشعر. وأحيوا تراث اليونان وعلومهم الميتة. لقد كانت الدنيا محاطة ببحر من ظلمات الجهل، فأغرقوا كل أرجائها في النور. فهم بهذا الاعتبار واضعو أساس العلوم الحديثة». وقال جاستون كارمن من مستشرقي فرنسا المشهورين، في سلسلة مقالات نشرها في جريدة فيجارو عام ١٩١٣: «إن القرآن- وهو منبع هذا الدين العقلي ودستوره- قد احتوى على أسس تستند إليها حضارة العالم. ففي إمكاننا أن نقول إن هذه الحضارة نشأت من امتزاج الأسس التي نشرها الإسلام»[٦٠]. وكل ما في الأمر أنهم لم يقدروا على مسابقة الغرب في ساحة العلم في الأزمان الأخيرة. بيد أن جعل الدين مسئولاً عن هذا التأخر خطأ فاحش. لأن جزيرة العرب وما حولها كانت عند ظهور الإسلام في ظلام دامس، ولم تنعم بالعلوم والفنون إلا بفضل الإسلام. والتاريخ شاهد عدل بصدق ما أقول. والانحطاط السياسي الذي نشأ من الإدارة السقيمة المستبدة، التي أسستها الحكومات والجماعات الإسلامية مخالفة للأحكام الدينية- كانت

مانعة للرقي العلمي أيضاً. والنصرانية نشأت في بلاد كانت مهد العلوم والفنون، ومع ذلك أدت إلى زوالها، ولم يمكن نهضة تلك العلوم مرة أخرى إلا بانكسار التعصب النصراني باستيلاء المسلمين على إسبانيا، كما ذكرناه سابقاً. وبينما الحال كذلك إذ نرى جماعة من المسلمين المتسمين بالثقافة يتشدقون بأن الإسلام مانع للرقي. فلا أدري كيف يُقابل هذا، أبالضحك أم بالبكاء!؟

وثامناً: وأسلوب عبادة المسلمين أسمى بوجوه كثيرة من مراسم سائر الأديان وأصولها. فالمسلم ليس في حاجة إلى واسطة ليعبد الله، وهو حُرٌّ مطلق من السلطة الرهبانية. والإمامة واجبة في حالة الصلاة بالجماعة، يقوم بها الأرشد والأليق من الحاضرين، وتلقى في الجوامع خطب ومواعظ ونصائح، يفوض بإلقائها لمن يكون أهلاً لها. وأما العبادة فكل فرد يتوجه إلى ربه بنفسه؛ يتلو القرآن والأدعية بنفسه، أو يستمع إلى تلاوة غيره لها. وليست في العبادة الإسلامية المراسم والتشريفات من ذكريات الوثنية، والتوسل بالركوع والسجود- وهما أكبر آداب التعظيم والعبودية عند الناس- أمر طبيعي في التوجه إلى الله سبحانه وتعالى. والاعتراض عليه سفسطة. فلو كان في صدر الإسلام مراسم غيرهما للتعظيم لأمرنا بذلك.

والتطهر لأجل الصلاة من أعظم الحكم الإسلامية. ويختار عكس ذلك في بعض المذاهب، فيتكاسلون في الطهارة والنظافة بدعوى ترك ما سوى الله.

وبما أنه قد أعطيت معلومات كافية عن الفوائد الدنيوية للعبادة في فصل خاص، فقد اكتفيت هنا بهذا القدر.

وتاسعاً: في الأديان الأخرى عقيدة تقول بانحصار ذوي الحياة في أرضنا هذه، واختصاصها بها. وهذا الرأي ليس في استطاعة علماء الفلك في هذا الزمان هضمه، فلذا يميلون إلى وادي الإنكار. ولما كانت الآية الكريمة: «ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة»، تقول بأن في السموات- أي في الأجرام الفلكية دواب، يعني ذات حياة قابلة للحركة والمشى، فالإسلام سليم من فكر غير علمي كالذي رأيناه. فسر بعض المفسرين القدماء بأن المراد من الدواب في السموات هم الملائكة، ولكن هذا التفسير يتعارض مع آيات أخرى في شأن الدواب والملائكة. ولما كان عهد أولئك المفسرين لم يكن قد اكتشف فيه بعد لا أبعاد السيارات التي في المجموعة الشمسية ولا جساماتها ولا حال مليارات النجوم والكواكب وشأنها ومجموعاتها، لم يستطع أولئك العلماء الإحاطة بإمكان وجود ما يشبه عوالمنا في السموات أو مخلوقات شبيهة بنا إلى حد ما، فلجئوا إلى التفسير المذكور، بيد أن ترقيات العلم الحالية أثبتت صدق القرآن الكريم وحكمته بهذه الصورة أيضاً.

إني أعتقد أن «دين العلم والفلك» الذي يتمناه حكماء المذهب الإلهي للمستقبل سيظهر قريباً أو بعيداً أنه هو الإسلام. وأسرد بهذه المناسبة رأى المؤرخ الإنجليزي إدوار كيبون حيث قال: «إن موحداً ذا دماغ فلسفي لا

يتردد لحظة في قبول وجهات نظر الإسلام. فالإسلام دين أعلى من تطورنا الفكري اليوم».

(أخذ قول كيبون.من كتاب «قرآن نه در = ما هو القرآن» لعمر رضا بك).

obeikandl.com